الفصل الأول: التعريف بالمؤلف .

المبحث الأول: اسمه ،نسبه ومولده .

المطلب الأول: اسم الشافعي ونسبه .

الفرع الأول: إسمه .

هو أبو عبد الله ، محمد بن إدريس بن العباس، بن عثمان، بن شافع، بن السائب ، بن عبيد بن عبد يزيد ، بن هاشم ، بن مطلب ، بن عبد مناف ، جد جد النبي[1] وبعبد مناف التقى الشافعي بالنسب مع عمه النبي محمد بن عبد الله "صلى الله عليه وسلم".

الفرع الثاني: أبوه وأجداده .

ما نعلم عن والد الشافعي شيئا إلا أنه كان رجلا من تبالة[2]، وكان بالمدينة فظهر فيها ما يكرهه فخرج إلى عسقلان[3]، فأقام بها، ثم مات فيها[4] وأنه كان قليل ذات اليد.

نرى أن في نسب الشافعي أربعة جدود في نسق من الصحابة: عبد يزيد، وولده عبيد، وولده السائب بن عبيد ، وولده شافع بن سائب[5]، وقد مر التنويه بكل واحد منهم.

وأما " هاشم بن المطلب" فهو ابن أخ هاشم بن عبد مناف والد عبد المطلب جدا النبي "صلى الله عليه وسلم"، ولشدة علاقة المطلب بأخيه هاشم ومحبته له سمى ابنه باسمه.

وأما " المطلب بن عبد مناف" فهو عم عبد المطلب جد النبي "صلى الله عليه وسلم"وهو الذي رباه فأضيف إليه بعدما مات أبوه، وذلك أن هاشم[6] بن عبد مناف كان قد تزوج في المدينة من الخزرج، فولد له « شيبة الحمد »[7] فكان مع أمه ، وخرج هاشم إلى الشام تاجرا فمات بغزة[8]، فقدم المطلب بعد ذلك المدينة فوجد شيبة الحمد قد ترعرع، فحمله معه إلى مكة ودخل مردفه ، فقال بعض الناس : هذا عبد المطلب فغلبت عليه، ويقال انما قيل له عبد المطلب لأن المطلب رباه وكانوا في الجاهلية كل من ربى يتيما دعي عبده[9].

---

[1] – إبن حزم ، جمهرة انساب العرب، ص٧٣

[2] –تبالة: بلدة مشهورة عن أرض تهامة في طريق اليمن.

[3] – عسقلان: مدينة عن أعمال فلسطين، على ساحل البحر، بين غزة وبيت جبرين.

[4] – إبن حجر،توالي التأسيس ، ص٤٩ و٥٠

[5] – ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢ ، ص٤٢٤

[6] – وهو أخو المطلب.

[7] – وهو عبد المطلب.

[8] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٤٤

[9] – المرجع نفسه، ص٤٤

واستمر عبد المطلب على عمه إلى أن مات المطلب[1] وكان المطلب وهاشم ابنا عبد مناف شقيقين متصادقين، واستمرت الصداقة بين اولادهما بل لم يتفارقوا في جاهلية ولا اسلام.

قال ابن اسحاق[2]: كان بنو المطلب مسلمهم وكافرهم مع النبي "صلى الله عليه وسلم" ومع بني هاشم، بخلاف سائر بطون قريش.

أما جده العباس بن عثمان فما نعلم عنه إلا أنه ممن روى الحديث وروى عنه، فقد ذكره الخزرجي[3] في خلاصته، وذكر أنه روى[4] عن عم بن محمد بن علي بن أبي طالب.

وأما أبو جده عثمان بن شافع فعاش إلى خلافة أبي العباس السفاح، وله ذكر في قصة بني المطلب ، لما أراد السفاح اخراجهم من الخمس وافراده بني هاشم، فقام عثمان في ذلك حتى رده إلى ما كان عليه في زمن النبي "صلى الله عليه وسلم".[5]

وأما جد جده شافع بن السائب الذي ينسب إليه فهو صحابي صغير اتفق النقلة على أنه لقي النبي "صلى الله عليه وسلم"وهو مترعرع[6]، وله ذكر في حديث أخرجه الحاكم في مناقبه عن أنس قال: كان النبي "صلى الله عليه وسلم" ذات يوم في فسطاط، اذ جاءه السائب بن عبيد، ومعه ابنه يعني شافع بن سائب، فنظر النبي "صلى الله عليه وسلم" إليه فقال: "من سعادة المرء أن يشبه أباه"[7] ولنافع أخ اسمه عبد الله، كان والي مكة كما أخرجه الحاكم[8].

وأما " السائب بن عبيد" والد شافع ، فقد كان مشركا ، وكان صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأسر، وفدى نفسه، ثم أسلم، فقيل له: لِم لم تسلم قبل أن تفدي نفسك ؟ فقال : ما كنت أحرم المؤمنين مطعما لهم في[9] وقال النبي "صلى الله عليه وسلم" في حقه – حيث أتى به وبعمه العباس أسيرين : "هذا أخي وأنا أخوه".[10]

---

[1] – المرجع السابق، ص ٤٤

[2] – ابن اسحاق:هو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، أقدم مؤرخي العرب.

[3] – هو أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري.

[4] – هو محمد بن الحنفية

[5] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٤٥

[6] – ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص١٣٤ . لإبن خلكان ،وفيات الأعيان، ،ج١ ،ص٥٦٥

[7] – المرجع نفسه ، ج٢، ص١١

[8] – ابن حجر،توالي التأسيس، ص٤٥

[9] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٧١ ،ابن خلكان،وفيات الأعيان، ج١، ص٥٦٥

[10] – ابن حجر، توالي التأسيس ،ص٤٥

ويقال : إن السائب هذا كان يشبه النبي "صلى الله عليه وسلم" في صورته[١]، واشتكى مرة فقال عم: اذهبوا بنا نعود السائب بن عبيد فإنه من مصاصة قريش.[٢]

وأما" عبيد بن يزيد" فقد ذكره صاحب الإصابة في الصحابة، وقال: قال الزبير بن بكار، أمه شيماء بنت الأرقم بن نضلة.[٣]

وأما والده "عبد يزيد بن هاشم بن المطلب" فقد ذكره فيم أخرجه عبد الرزاق وأبو داود عن طريقه عن ابن جريح، أخبرني بعض من بني أبي رافع مولى النبي "صلى الله عليه وسلم" عن عكرمة عن ابن عباس، قال: طلق عبد يزيد أم ركانة ، ونكح امرأة من مزينة، فجاءت النبي "صلى الله عليه وسلم" فقالت: مايغني عني إلا كما تعني هذه الشعرة، لشعرة اخذتها من رأسهما– ففرق بيني وبينه، فدعا بركانة واخوته، فذكر القصة، وفيها: قال النبي "صلى الله عليه وسلم" لعبد يزيد:"طلقهما" أي المزينية ففعل، ثم قال:" راجع امرأتك أم ركانة" قال: إني طلقتها ثلاثا يا رسول الله ، قال" قد علمت ، راجعها"[٤].

ما سردناه عن نسب الشافعي، وأنه عربي صليبة ، بل هو من مصاصة قريش ، ما اتفق عليه الرواة والمؤرخون و علماء الأنساب والمحدثون.[٥]

وهناك فئة متعصبة من المالكية والحنفية، زعمت أن الشافعي لم يكن قرشيا بالنسب، بل كان قرشيا بالولاء ، لأن شافعا جده كان مولى لأبي لهب، ولم يلحقه عمر بموالي قريش ثم ألحقه عثمان من بعد عمر بهم .

وهذا الزعم باطل ، وقد رد الفخر الرازي قول المتعصبين من المالكية والحنفية من ثلاثة وجوه:[٦]

أولها: أن المخالفين له من المالكية والحنفية وغيرهم في مصر كانوا يجادلونه ومنهم من كان يحسده وينال منه، فلو كان غير قرشي لطعنوا في نسبه ، ولو طعنوا لأشتهر ذلك عنهم، ولم ينقل عن مجادليه شيء في ذلك.

ثانيها: أن الشافعي ادعى ذلك النسب في حضرة الرشيد عند اتهامه مع العلوية الذين خرجوا على الرشيد، فلوا كان من الموالي ما ادعى انه ابن عم الخليفة، وقد جيء به مكبلا خائفا يترقب ولو لم يكن النسب يظهر مما يظهر كالشمس ما ادعى عاقل كالشافعي في مثل هذا الإتهام.

---

[١] – ابن حزم،الجمهرة،ص ٧٣

[٢] – ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص١١ ، والمصاص:خالص كل شيء

[٣] – المرجع نفسه، ج٢ ، ص٤٣٨

[٤] – أبو داوود، السنن، عبد الرزاق المصنف

[٥] – عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي، ص٣٥

[٦] – المرجع نفسه، ص ٣٦

ثالثها: أن أكابر العلماء شهدوا له بهذا النسب، قال محمد بن اسماعيل البخاري في التاريخ الكبير عند ذكر الشافعي: محمد بن ادريس الشافعي القرشي وقال مسلم بن الحجاج: وعبد الله بن السائب والي مكة، وهو أخو شافع بن السائب جد محمد بن ادريس[١].

الفرع الثالث: أم الشافعي :

أكثر من أرخ أو ترجم للشافعي أو ترجم له اتفقوا على أن أمه أزدية وهو المعزو إلى الشافعي نفسه، وقيل أمه أسدية ، والأزد والأسد شي واحد.

واحتجوا : بأنه لما قدم مصر سأله بعضهم أن ينزل عنده، فأبى وقال أريد أن أنزل عند أخوالي الأزديين ، فنزل عندهم ، وهناك من يدعي أن أم الشافعي من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويورد نسبه من جهة أمه أنه : محمد بن فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهذا ما ذكره الحاكم[٢] عن يونس عبد الأعلى[٣] قال: إن أم الشافعي فاطمة ، وساق نسبهما كما تقدم[٤].

وكان يونس يقول: لا أعلم هاشميا ولدته هاشمية إلا علي بن أبي طالب والشافعي رضي الله عنهما[٥] عنهما[٥] وتثبت التاج بن السبكي[٦] بهذا الرأي، وأقام عليه الحجج ورد على من ضعفه.

والذي هو أدنى إلى الصواب أن أمه أزدية – لا هاشمية- وهو ماحققه النووي مع من حققه أو قال به[٧].

وضعف البيهيقي القول بأن أمه من ولد علي بن أبي طالب، وجعل الحمل فيه على أحمد بن الحسين بن أبي مروان، من جهة مخالفة سائر الروايات له، وأحمد بن الحسين هذا – مع ذلك – ضعيف لهما أقر ذلك السبكي نفسه، وهناك أحاديث – خصوصا في الترمذي- في فضل الأزد بعضها صحيح وبعضها دون ذلك[٨].

---

[١] – المرجع السابق، ص٣٧

[٢] – الحاكم هو محمد بن عبد الله بن حمدوية الضبي النيسبوري الشهير بالحاكم.

[٣] – يونس بن عبد الأعلى الصدمي من كبار الفقهاء صحب الشافعي واخذ عنه.

[٤] – السبكي،الطبقات الكبرى، ج١، ص١٩٣

[٥] – المرجع نفسه، ج١، ص١٩٣

[٦] – التاج السبكي: هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي

[٧] – النووي، المجموع، ج١، ص١٤

[٨] – عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي، ص ٤٣

وكانت أمه رحمها الله – باتفاق النقلة- من العابدات القانتات، ومن أربى الخلق فطرة[1]، ومن طريف ما يحكي عنها من الحذق والذكاء: أنها شهدت عند قاضي مكة هي وأخرى[2] مع رجل، فأراد أن يفرق بين المرأتين، فقالت له أم الشافعي:ليس لك ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يفرق بينهما في سورة البقرة ،فرجع القاضي لها في ذلك[3].

ثم يقول ابن حجر: وهذا فرع غريب واستنباط قوي[4].

المطلب الثاني: مولده .

في نهار الجمعة آخر يوم من شهر رجب، من سنة مائة وخمسين ولد الإمام الشافعي[5]، وهي السنة التي توفى فيها الإمام أبو حنيفة النعمان ، لم يختلف إثنان إلا أن بعضهم بالغ فأولد الشافعي في اليوم الذي توفي فيه أبو حنيفة،حرصا منه ان يكونا:

نجوم سناء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكب

واختلف الناس في البلد الذي أشرق بولادته،يقول العماد[6]: ولد بغزة أو بعسقلان أو اليمن، أو منى، أقوال"[7] فإذا استبعدنا من هذه المواضع عن شذوذها واليمن لضعفها – إلا أن أريد باليمن قبائلهما قبائلهما في غزة- فليس من العيسى التوفيق بين قولي: غزة وعسقلان، وهما المنقولان عن الإمام نفسه بطرق صحيحة، وواضح أن غزة وعسقلان إقليم واحد وهما متقابلان: عسقلان هي المدينة وغزة هي القرية فحيث قال الشافعي: غزة أراد المدينة وحيث قال: عسقلان أراد المدينة[8] والأقرب أنه ولد بغزة كما كما هو قول الأكثرين، ثم حمل إلى عسقلان صغيرا، كما روي عن الحاكم بطريقه عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، يقول: سمعت الشافعي يقول:" ولدت بغزة وحملتني أمي إلى عسقلان[9]،

---

[1] -السبكي، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٧٩

[2] – هي أم بشر المريسي، كما في الطبقات، ج٢، ص١٧٩

[3] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٤٦

[4] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٤٦

[5] – الزبيدي، تاج العروس، مادة شفع

[6] – ابن العماد:هو عبد الحي بن محمد بن العماد العسكري الحنبلي، مؤرخ وفقيه بالأدب ولد في صالحية دمشق، له كتاب: شدرات الذهب، توفي بمكة حاجا سنة ١٠٨٩ هـ

[7] -ابن عماد، شذرات الذهب، ج٢ ، ص٩

[8] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٤٩

[9] – المرجع نفسه، ص٤٩

وقال ابن باطيش:" الذي دل عليه مجمع الروايات أنه ولد بغزة ثم حمل منها إلى عسقلان، ثم إلى مكة فنشأ بها"[١] وإن صحت الرواية عن الشافعي أنه قال، "ولدت باليمن"[٢]، فمؤول على أنه أراد باليمن قبائلهما، وهم اهل أمه، لأنها أزدية كما سلف.

المبحث الثاني: صفاته وأخلاقه وعياله

المطلب الأول: صفاته

الفرع الأول: حليته

يقول ابن صلاح[٣]: كان طويلا، سائل الخدين[٤]، قليل لحمة الوجه، طويل العنق، طويل القصب[٥]، القصب[٥]، أسمر خفيف العارضين، يخضب لحيته بالحناء حمراء قانية، حسن الصوت والسمت، عظيم العقل، جميل الوجه، مهيبا فصيحا، من أدب الناس لسانا، وإذا أخرج لسانه بلغ أرنبه أنفه قال: وكان مسقاما، ونقل أنه كان وارد الأرنبة[٦]، وكان على أنفه أثر جدري بادي العنفة[٧] أبلح[٨] مفلج الأسنان[٩]. الأسنان[٩].

وقد أخرج البهيقي عن يونس بن عبد الأعلى قال: كان الشافعي معتدل القامة واضح الجبهة، رقيق البشرة، لونه إلى السمرة وفي عارضه خفة.

وفي الوافي للصفدي: كان الشافعي رضي الله عنه نحيفا خفيف العارضين يخضب بالحناء.

وقال المزني: ما رأيت أحسن وجها من الشافعي، إذا قبض على لحيته لا تفضل عن قبضته[١٠].

الفرع الثاني:لباسه

قيل للربيع: كيف كان لباس الشافعي؟ قال كان مقتصدا فيه، يلبس الثياب الرفيعة من الكتان والقطن البغدادي، وكان ربما لبس قلنسوة ليست مشرفة جدا ويلبس كثيرا العمامة والخف[١١].

---

[١] – المرجع السابق، ص٤٩

[٢] – المرجع نفسه، ص٤٩

[٣] – ابن الصلاح: هو عثمان ابن عبد الرحمان الشهرزوري، أحد المقدمين في الحديث والفقه وأسماء الرجال، توفي سنة،٦٤٣

[٤] – سائل الخدين: رقيقهما، و مستطيلهما

[٥] – القصب: عظم الفخ والساق والعضد

[٦] – وارد الارنبة: طويلها وهي مقدمة الأنف

[٧] – العنفقة: الشعر على ظاهر الشفة السفلى

[٨] – أبلج: ي ليس حاجباه مقرونين

[٩] – أفلج: أي بين سن وسن فرجة

[١٠] – ابن عماد، شذرات الذهب، ج٢ ، ص٩

[١١] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٧٢

وفي الإنتقاء[1]: كان رحمه الله يعتم بعمامة كبيرة كأنه أعرابي، أما خاتمه فقد قال الربيع: ويختم أي الشافعي- في يساره ونقش خاتمه: "كفى بالله ثقة لمحمد بن ادريس"[2].

ورواية ابن أبي حاتم الرازي:"الله ثقة محمد ابن ادريس"[3].

الفرع الثالث:حسن صوته

عرف الشافعي بجمال جرسه في الكلام، وشجو صوته في القراءة، وربما أبكى الناس وأثار شجونهم، قال ابن نصر: كنا إذا أرادنا أن نبكي قال بعضنا لبعض: قوموا إلى هاذ الفتى المطلبي يقرأ القرآن، فإذا اتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط الناس، ويكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة[4]، وقال أحمد: كان الشافعي إذا تكلم كأن صوته صنج أو جرس من حسن صوته[5].

صوته[5].

المطلب الثاني: أخلاقه

الفرع الأول :حكمة الشافعي

الشافعي رحمه الله عاقل كبير العقل، ذكي نافذ الذكاء، مرهف الحس، بصير بالحياة ذاق ألوانها كما عاش يتيما فقيرا، ثم أضاء نجمه، ثم أصبح كالشمس للدنيا، رحل إلى بلاد إسلامية عربية مختلفة، وعرف أصنافا من البشر، تولى ولاية، ورأى فيها كيف يريد القوي أن ينقض على الضعيف، وفاز بامتحان صلابة الحق والدين واليقين حينما أزهق الباطل القوي، وآزر الحق الضعيف، وكان بذلك محنة كادت تطعم لحمه سيف الخليفة، وماله في ذلك تطيع إلا الله، ثم ما منح من قلب شجاع، وبيان رائع وحجة بالغة، نجا من الموت[6].

ومن مثل هذا العقل ومن مثل هذه التجارب تتفجر حكمة الشافعي، ولقد آثر عليه حكم كثيرة لو جمعت كما يقول ابن حجر لكان منها جزء كبير وكلها مصونة بمنتخب الألفاظ، وسري المعاني، كأن فاه كما قال عنه الجاحظ ينظم درا إلى در.[7]

---

[1] – ابن عبد البر، الإنتقاء،ص٩٢

[2] – النووي،تهذيب الأسماء واللغات، ج١ ،ص٦٥

[3] – لإبن أبي حاتم الرازي ،آداب الشافعي ومناقبه ، ص٢٧٦

[4] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٧٣

[5] – المرجع نفسه، ج٢ ، ص١٧٣

[6] – عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي، ص ٣٧٣

[7] – المرجع نفسه، ص٣٧٣

الفرع الثاني: تقوى الشافعي وورعه وعبادته

ما اوتي الشافعي الخطوة والقبول والتوفيق، والإمامة المطلقة في العلم إلا بدينه وعبادته، وليس العلم من الدين، أن يدعوا العالم الناس غليه، ويبين لهم ما أحل الله وما حرم، وما بينهما من المشتبهات، ويطبق ذلك على نفسه فإن لم يفعل فهو شاك فما يعلم أو شبيه به ، ولا علم لشاك.

والتقوى: أن يدع المؤمن ما يريد لشرع الله، وأن يروض نزواته وشهواته وميوله على ما يرضي الله.

والورع: أن يدع الشبهات لئلا يقع في الحرام، بل قد يدع المباح والذي يخشى أن يكون سببا للوقوع في الحرام.

والشافعي كما هو إمام في الاجتهاد والفقه، إمام في إيمانه وتقواه وورعه وعبادته.[1]

الفرع الثالث: حذق الإمام الشافعي بالرمي

لما خرج الشافعي إلى البادية يسمع كلام الأعراب بأنهم إلى ذلك فنونا كبيرة تقتضيها حياة البادية منها الرمي، فقد تعلمه ومرن عليه حتى صار من أحذق الرماة يصيب من العشرة عشرة، وقال عمر بن سواد: قال لي الشافعي:" كانت همتي في شيئين: العلم والرمي، قلت من الرمي حتى كنت أصيب من العشرة عشرة، وفي رواية من العشرة تسعة"[2]

وقال الربيع: كان – أبي الشافعي- ذا معرفة تامة بالطب والرمي، حتى كان يصيب من العشرة عشرة.

الفرع الرابع : فراسة الشافعي وشجاعته

الفراسة بالفتح: الحذق بركوب الخيل، وأمرها وركضها، والثبات عليها كالفراسة والفروسية[3]، وهي مما مما تعلمه الشافعي في البادية ومارسه، فقد كان فارسا لا يبارى.

وقال الربيع: كان الشافعي أشجع الناس وأفرسهم ، وكان يأخذ بأذنه وأذن الفرس والفرس يعدو وهكذا نرى أكثر علماء السلف، يعدون أنفسهم للجهاد والمرابطة في سبيل الله، امتثالا لأمر الله تعالى. ومنها مرابطته بثغر الإسكندرية من حياته في مصر[4].

[1] – المرجع السابق، ص٣٦٢

[2] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٦٧

[3] – الزبيدي، تاج العروس، مادة فرس

[4] – عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي، ص٦٢

الفرع الخامس: كرم الشافعي

عرف العرب بالكرم، وهو من أشهر مفاخرهم، ومما كانوا يبتغون به إلا الصيت من الذكر لما جاء الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجا وكان خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام وثبت الطبع وانقلبت النية.

أما الشافعي فقد كان في جوده منقطع النظير، جود عربي قرشي مؤمن ومع أنه كان في أكثر حياته فقيرا ، ما عنده قوت ليلة كما حدث عن نفسه فإذا أتاه المال أنفقه وتصدق به على الفقراء والمحتاجين، ولو أنه أمسك من المال شيئا لما نبل من مروئته وكرمه، ولكنه الإيثار والرغبة في الخير وشرف النفس[١].

وهذه شهادة بعض من عاصره من أصحابه وخلطائه بسخائه وجوده:

قال الربيع: "ولقد سمعنا بالأسخياء وكان عندنا منهم قوم وما رأينا مثل الشافعي"[٢].

وقال عمرو بن سواء السرجي:" كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام"[٣].

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم:" كان الشافعي أسخى الناس بما يجد"[٤].

وقال الربيع:" كان الشافعي إذا سأله إنسان شيئا يحمر وجهه حياءا من السائل، ويبادر بإعطائه، فإن لم يكن معه أرسل إليه إذا رجع"[٥].

المطلب الثالث: عياله

لا نعلم متى تزوج ، وما أظننا نبعد كثيرا إذا قدرنا أن زواجه كان قريبا من منصرفه عن مالك إلى مكة، وما عرف إلا زوجة واحدة هي حمدة بنت نافع بن عنيسة بن عمرو بن عثمان بن عفان"[٦]، وهي وهي أم ولده كما حدث بذلك أحمد بن محمد ابن بنت الشافعي.

أما أولاده: فما اتفق عليه أن له ولدين ذكرين أكبرهما: محمد أبو عثمان، وقيل للشافعي ما اسم أبي عثمان، فقال:"سميته أحب الأسماء إلى محمد"[٧] وسماه ابن حزم عثمان، سمع أباه، وسفيان بن عيينة،

---

[١] – المرجع السابق، ص٣٧٣

[٢] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٦٧

[٣] – النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج١ ، ص٥٧

[٤] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٦٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢ ، ص١٧٤

[٥] – المرجع نفسه، ص٦٧، النووي، تهذيب الاسماء واللغات، ج١، ص٥٨

[٦] – ابن عبد البر، الإنتقاء، ص٦٨

[٧] – السبكي،الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٢

وعبد الرزاق، واحمد بن حنبل[1] وولي قضاء بالجزيرة ، وأعمالها، وهناك حدث وللجزريين عن رواية، وولي القضاء أيضا بمدينة حلب، وبقي بها سنين كثيرة[2].

وهو الذي قال له: احمد بن حنبل: اني لأحبك لثلاث خصال: أنك ابن أبي عبد الله، وانك رجل من قريش، وأنك من أهل السنة، وله مع احمد بن حنبل مناظرة في جلود الميتة إذا دبغت[3].

وهو الذي قال له أبوه يعاتبه ويعظه : "يا بني، والله لو علمت أن الماء البارد يثلم من مروءتي ماشربته إلا حارا" ولما توفي والده كان بالغا، مقيما بمكة.[4]

أعقب أبو عثمان ثلاثة بنين: منهم العباس بن محمد بن محمد بن ادريس، وأبو الحسن مات رضيعا وفاطمة لم تعقب[5] ويقول ابن حزم عنه لم يعقب[6]، وتوفي بالجزيرة كما يقول الخطيب البغدادي، البغدادي، بعد سنة أربعين ومائتين وكما في معجم الأدباء[7].

أما ولد الشافعي الثاني: فأسمه محمد أيضا وكنيته أبو الحسن، وهو من جارية اسمها دنانير، ذكر ابن يونس: أنه قدم مصر مع أبيه صغير، فتوفي بها في شعبان سنة احدى وثلاثين ومائتين[8]، ويقول عنه ابن حزم: ولي قضاء قنصرين والعواصم ولم يعقب.[9]

وعرف للشافعي من البنات بنت واحدة اسمها زينب، تزوجت من ابن عم للشافعي اسمه محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع، و انجبت ولد اسمه: احمد بن محمد بن عبد الله، عرف بابن بنت الشافعي، قال النووي: كان اماما مبرزا، لم يكن في آل الشافعي بعد الشافعي منه، سرت إليه بركة جده[10].

وللشافعي غلام قصلبي يقال له: إطراق[11].

---

[1] – المرجع السابق، ج٢، ص٧٢

[2] – المرجع نفسه، ص٧١ و ٧٢

[3] – المرجع نفسه، ص ٧٢

[4] – المرجع نفسه، ص ٧٢

[5] – المرجع نفسه، ص ٧٢

[6] – ابن حزم ،جمهرة انساب العرب، ص٧٣

[7] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٧، ص٣٢٣

[8] – ابن السبكي،الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٣

[9] – ابن حزم،جمهرة انساب العرب، ص٧٣

[10] – ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٨٦

[11] – آداب الشافعي ومناقبه، لإبن أبي حاتم الرازي، ص٢٧٧

المبحث الثالث: نشأته ووفاته

المطلب الأول: نشأته

الفرع الأول: المرحلة الأولى من نشأته

ولد الشافعي كما تقدم بغزة أو بعسقلان ولكنه نشأ من طفولته بمكة روى ذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن الشافعي، قال:" ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت إلى مكة وأن ابن سنتين"[١] هذا هو المشهور والأكثر عند الرواة.

أما ما اخرجه ابن أبي حاتم الرازي[٢] عن الشافعي يقول" ولدت باليمن فخافت أمي علي الضيعة، وقالت الحق بأهلك، فتكون مثلهم، فإني أخاف تغلب على نسبك فجهزتني إلى مكة فقدمتها أنا ابن عشر أو شبيها بذلك... الخ"[٣] فقد قال الحافظ الذهبي[٤] فيه هذا القول غلط ، إلا أن يريد باليمن القبيلة.[٥]

ويقول ابن حجر[٦]: فالذي يجمع الأقوال: انه ولد بغزة عسقلان ولما بلغ سنتين حولته أمه إلى الحجاز، ودخلت به إلى قومها وهم أهل اليمن لأنها أزدية فنزلت عندهم فلما بلغ عشرا خافت على نسبه الشريف أن ينسى ويضيع فحولته إلى مكة.[٧]

منزله:

حدث الشافعي: أن منزله بمكة قرب شعب الخيف[٨]، وجاء في الإنتقاء[٩] أنه يسكن مكة، وينزل منها بالبنية والظاهر أن البنية محلة بمكة، وإن كان ياقوت[١٠] في معجم البلدان يقول: البنية من أسماء مكة، وقد يكون هذا هو الأصل ثم غلب عليه على محله منها.

---

[١] – ابن عماد، شذرات الذهب، ج٢ ، ص٩

[٢] – ابن أبي حاتم: هو عبد الرحمان بن ادريس الرازي الحافظ، توفي سنة ٣٢٧ هـ

[٣] – ابن أبي حاتم الرازي، أدب الشافعي ومناقبه، ص٢١

[٤] – الذهبي: هو محمد بن احمد بن عثمان الحافظ المؤرخ توفي سنة ٧٤٨ هـ

[٥] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٤٩

[٦] – ابن حجر: هو أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، توفي سنة ٨٥٢ هـ

[٧] – المرجع نفسه، ص٤٩

[٨] – ابن أبي حاتم الرازي، أداب الشافعي ومناقبه، ص٢٤

[٩] – ابن عبد البر، الإنتقاء، ص٦٨

[١٠] – ياقوت: هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي توفي سنة ٦٢٦ هـ

الفرع الثاني : المرحلة الثانية من نشأته

لم الشافعي وجوده وبيئته إلا بالوطن القديم لأجداده مكة مهوى أفئدة المسلمين في أنحاء الأرض، ومهبط الوحي ومنبت الإسلام.

وأعظم ما في مكة ، المسجد الحرام ، الذي يكاد يكون عند محل كل سارية فيه محدث، أو فقيه أو باحث أو مناظر ومن حولهم المتعلمون والمستمعون والسائلون.

وفي محيط الكعبة المشرفة التي لا يقتر الطواف حولها في ليل أو نهار أبدا الدهر وعلى هذا كله فتح الشافعي بصره وبصيرته وبدأ يتفاعل مع هذه البيئة ليأخذ مكانه الطبيعي بين العلماء وأشراف الناس، وماله لا يفعل؟ وهو القرشي الأصل، الشريف النسب، ابن عم رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وهل لمثله غير طريق العلم؟[1].

أرادت أمه العاقلة أن تأخذ به إلى معلم يعلمه القراءة والكتابة على عادة الناس في البداية بالتعلم، ولكن لم يكون مع أمه ما تؤديه للمعلم أجرا عن تعليم ابنها، يقول الشافعي في ذلك:

كنت في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطيه للمعلم، وكان المعلم قد رضي متى أن أخلفه إذا قام".[2]

وهكذا رضي المعلم أن تكون أجرته رمزية، ويظهر أنه رأى من نجابة الشافعي وسرعة حفظه ما دعاه الى المسامحة بأجره بل ربما رأى أنه لا يبذل في سبيل تعليمه جهدا يستحق الأجر عليه ،

يقول الشافعي: "كنت أنا في الكتاب أسمع العلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا ولقد كنت ويكتبون أئمتهم[3] أن يفرغ العلم من الإملاء عليهم وقد حفظت جميع ما أملي فقال لي ذات يوم لا يحل أن آخذ منك شيئا"[4].

واستمر على ذلك حتى جمع القرآن وهو ابن سبع سنين[5] وهذه هي المرحلة الأولى من تعلمه، مرحلة انتقاله من الأمية وحفظه القرآن.

الفرع الثاني: المرحلة الثالثة من نشأته

دخل المسجد بعد ذلك، يختلف العلماء ويسمع منهم، بشغف شديد وذهن حاد وهو ما يزال في ضيق العيش، وقلة ذات اليد حتى إنه لم يجد ثمن ورق يدون عليه بعض ما يسمع من العلم ، فعمد إلى التقاط العظام، وأكتاف الجمال وغير ذلك وقد تحدث رحمه الله عن هذه الفترة من حياته فقال: ثم لما

---

١ – عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي، ص٥١ وص٥٢

٢ – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص١٤١

٣ – الأئمة: جمع إمام وهو ما يتعلمه الغلام كل يوم في المكتب، تاج العروس

٤ – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٧، ص٢٨٤

٥ – ابن عماد، شذرات الذهب، ج٢، ص٩

خرجت من الكتاب كنت التقط الخزف والدفوف وأكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث و أجيء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافا وخزفا وكربا مملوءة حديثا.[1]

وقال: "طلبت هذا الأمر عن خفة ذات اليد كنت أجالس الناس وأتحفظ ثم اشتهيت أن ادون أو كان لنا منزل بقرب شعب الخيف وكنت أخذ العظام والأكتاف فأكتب فيها حتى استلقي في دارنا من ذلك الخبان"[2].

ولشدة فاقته نصح له نسيب له أن يكتسب ويدع العلم لا يعجل إليه، يقول الشافعي:"قدمت مكة وأنا ابن عشر أو شبههما فصرت إلى نسب لي قال: فرآني أطلب العلم فقال لي: لا تعجل بهذا وأقبل على ما ينفعك يعني التكسب ، قال : فجعلت لدني في العلم وطلبه، حتى رزق الله ما رزق"[3].

هذه هي المرحلة الثانية من تعلمه في مكة، صفق فيها يسمع العلم في المسجد الحرام، من أقوال العلماء ويحفظه ويكتب منه ما يملأ جرارا من العظام وكرب النحل وظهور اوراق الدواوين قبل أن يبلغ الحلم، وفي هذه المرحلة حفظ الموطأ للإمام مالك قبل أن يذهب إليه، فقد روى المزني عن الشافعي قوله:" حفظت القرآن وأنا ابن سبع وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر"[4].

وفي هذه الفترة المبكرة استهواه أن يتعلم العربية ويسمعها من أفواه الأعراب، وإن العربية وبيانها زينة الفتى ونمو عقله ورهافة حسه وقدرته على الحوار وأعظم من ذلك كله اكتساب الملكة التي يستطيع بها أن يفقه كلام الله تعالى وكلام رسول الله ص قال الشافعي: خرجت أطلب النحو والأدب فلقيني مسلم بن خالد الزنجي[5] فقال:" يا فتى من أين أنت قلت من مكة قال أين منزلك قلت بشعب الخيف قال من أي قبيلة أنت؟ قلت من عبد مناف قال: "بخ بخ لقد شرفك الله في الدنيا والآخرة إلا جعلت فهمك في هذا الفقة فكان أحسن بك"[6].

---

١ – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٧، ص٢٨٤

٢ – ابن أبي حاتم، اداب الشافعي ومناقبه، ص٢٥

[3] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٥٠

[4] – المرجع نفسه، ص٥٠

[5] – مسلم بن خالد الزنجي: هو شيخ الحرم المكي كان فقيها توفي سنة ١٨٠ هـ

[6] – النووي، المجموع، ج١، ص١٥

المطلب الثاني: وفاته

الفرع الأول: علته التي مات بها

ظهرت علة البواسير في الشافعي رحمه الله وهو في مصر وكان يظن أن هذه العلة انما نشأت بسبب استعماله اللبان[١]، وكان يستعمله للحفظ يقول الشافعي: "استعملت اللبان للحفظ فأعقبني صب الدم[٢] سنة"، أو بسبب هذه العلة ما انقطع عنه النزيف، وربما ركب فسال الدم من عقبيه ، وكان لا يبرح الطست من تحته وفيه لبدة محشوة، وما لقي أحد من السقم ما لقي[٣]، فالنزيف أنهكه وأعنته ، قال يونس بن عبد الأعلى:" ما رأيت أحد لقي من السقم ما لقي الشافعي"[٤]، والعجيب في الأمر بل يكاد يكون معجزا أن تكون هذه حالة الشافعي، ويترك لمدة أربع سنوات كلها سقم، من اجتهاده الجديد ما يملأ آلاف الأوراق، مع مواصلة الدروس والأبحاث والمناظرات والمطالعات في الليل والنهار وكأن هذا الدأب والنشاط في العلم والبحث هو دواؤه الوحيد الشافي![٥].

وقيل في سبب وفاته: انه[٦] كان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس، يقال له فتيان[٧] فيه حدة حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيرا، ويجتمع الناس عليهما، فتناظر يوما في مسألة بيع الحر وهو العبد المرهون إذا اعتقه الراهن ومال إلى غيره فأجاب الشافعي بجواز بيعه على أحد أقواله، فتيان منه، لأنه يمضي عتقه بكل وجه وهو أحد أقوال الشافعي فظهر عليه الشافعي في الحجاج، فضاق فتيان بذلك ذرعا فشتم الشافعي شتما قبيحا فلم يرد عليه الشافعي حرفا، ومضى كلامه في المسألة فرفع ذلك رافع إلى السري[٨] فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى وشهد الشهود على فتيان بذلك فقال السري، لو شهد آخر مثل الشافعي على فتيان لضربت عنقه، وأمر فتيان فضرب بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه مناد ينادي : هذا جزاء من سب آل رسول الله "صلى الله عليه وسلم"

---

[١] – اللبان: ضرب من الصمغ يقال له الكندر وهو شجيرة شوك لا تسمو أكثر من ذراعين وله حرارة في الفم يعين على الحفظ

[٢] – ابن عماد، شذرات الذهب، ج٢، ص٩

[٣] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٢٧٦

[٤] – النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٦٥

[٥] – عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي، ص١٧٥ و ١٧٦

[٦] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٧، ص٣٢٢

[٧] – فتيان، هو فتيان بن أبي السمح

[٨] – السري: هو السري بن الحكم بن يوسف أمير من الولاة، ولي مصر، توفي سنة ٢٠٥ هـ

ثم ان قوما تعصبوا لفتيان من سفهاء الناس، وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه وبقي وحده فهجموا عليه وضربوه فحمل إلى منزله، فلم يزل عليلا حتى مات.

ويقول ابن حجر: وقد اشتهر أن سبب موت الشافعي أن فتيان بن أبي سمع المصري، وقعت بينه وبين الشافعي مناظرة فبدرت من فتيان بادرة، فرفعت إلى أمير مصر، فطلبت وعزره فحقد لذلك فلقي الشافعي ليلا فضربه بمفتاح حديد فشجه، فتمرض الشافعي منها ألى أن مات يقول ابن حجر لم أرى لذلك من وجه يعتمد.[1]

الفرع الثاني: في حال احتضاره

ومهما يكون السبب فإن الشافعي ألح عليه المرض وتحوفه النزيف وأذابه السقم ووقف الموت ببابه ينتظر انتهاء الأجل وفي هذه الحال عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، دخل عليه تلميذه المزني فقال : كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا، ولكأس المنية شاربا، وعلى الله جل ذكره واردا، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنئها، أول إلى النار فأعزيها، ثم بكا وأنشأ يقول:

لما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاضم ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ومازلت ذا عفو من الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما[2]

في هذه الحالة أيضا دخل عليه يونس بن عبد الأعلى فقال الشافعي له: "يا أبا موسى اقرأ علي ما بعد العشرين والمائة من آل عمران، وأخف القراءة ولا تثقل، فقرأت عليه، فلما أردت القيام، قال، لا تغفل عني فإني مكروب"[3].

قال يونس عن الشافعي:في قرائتي ما بعد العشرين والمائة ما لقي النبي "صلى الله عليه وسلم" وأصحابه، أو نحوه[4].

وقال حرملة:" قال لي الشافعي: اذهب إلى ادريس العابد، فقل له: يدعو الله عز وجل لى[5] وقال الربيع لما كان مع المغرب، قال له ابن عمه: "تنزل حتى نصلي"، قال:"تجلسون تنتظرون خروج نفسي"

[1] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٨٦

[2] – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص١٤٦

[3] – ابن أبي حاتم الرازي، آداب الشافعي ومناقبه، ص٧٦

[4] – المرجع نفسه، ص٧٦

[5] – ابن حجر، توالي التأسيس، ص٨٣

فنزلنا ثم صعدنا فقلنا: أصليت؟ قال نعم واستسقى وكان الوقت شتاءا فقال ابن عمه: "امزجوه بماء مسخن"

فقال الشافعي: "لا بل برب السفرجل"، وتوفي بعد عشاء الآخرة.[1]

الفرع الثالث: تاريخ وفاته

قال الربيع بن سليمان: توفي الشافعي ليلة الجمعة بعد عشاء الآخرة، آخر يوم من رجب[2]، ودفناه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين[3] عن أربع وخمسين سنة وهذا هو المشهور عند أكثر الرواة في عمره، وقال أبو عثمان ابن الشافعي، مات أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة[4].

الفرع الرابع: تشييعه ودفنه

ولما أخذ رحمه الله إلى مثواه الأخير حمل على الأعناق من فسطاط مصر حتى مقبرة بني زهرة وتعرف أيضا بأنها تربة ابن عبد الحكم.[5]

وفي معجم الأدباء: دفن غربي الخندق في مقابر قريش، وحوله جماعة من بني زهرة من ولد عبد الرحمان بن عوف الزهري وغيرهم.

وقبره مشهور هناك مجمع على صحته، ينقل الخلف عن السلف، في كل عصر إلى وقتنا هذا، وهو البحري من القبور الثلاثة التي تجمعها مصطبة واحدة غربي الخندق بينه وبين المشهد والقبران الآخران اللذان الى جنب قبر الشافعي: قبر عبد الله بن عبد الحكم، المتوفي سنة ٢١٤هـ ، وقبر ولده عبد الرحمان بن عبد الله بن الحكم المتوفي سنة ٢٥٧ هـ.[6]

ويقول النووي: "عن قبره، وقبره رحمه الله بمصر عليه من الجلالة وله من الإحترام ما هو لائق بمنصب ذلك الإمام"[7].

---

[1] – المرجع نفسه، ص٨٤

[2] – وقال ابن حبان: آخر ربيع الأول وماذكرناه أصح كما في آداب الشافعي

[3] – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢ ، ص١٤٧

[4] – ابن عبد البر، الإنتقاء، ص١٠٢

[5] – عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي، ص١٨٠

[6] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٧، ص٣٢١

[7] – النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٤٦

الفرع الخامس: حزن الناس على وفاته

ذهل الناس بوفاة الشافعي، وخيمت الكآبة على وجوه العلماء وقبضت أجنحة تلاميذه وأقفر مجلسه من العلم الشامخ الذي يصول ويجول ويبحث ويناظر وأبلغ من عبر عن لوعة الناس بفقده: أعرابي وقف على حلقة الشافعي بعد موته بيسير فقال:" أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ فقلنا توفي فبكى بكاءا شديدا وقال: رحمة الله عليه وغفر له فقد كان يفتح ببيانه مغلق الحجة ، ويسد على خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوها مسودة، ولا يوسع بالرأي أبوابا منسدة ثم انصرف[1].

[1] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٧٧